المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أمَّا بعد؛ فإن للمرأة في الإسلام مكانة عظيمة ومرتبة جليلة، فقد رفع الإسلام منزلتها بعد أن كانت مهانة عند العرب وعند الأمم الأخرىٰ قبل الإسلام، فجعلها الإسلام في منزلة واحدة مع الرجل من حيث قبول الأعمال الصالحة.

قال - عز وجل -: **﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]**. وقال ﷺ في

الحديث الصحيح: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ »رواه الإمام أحمد، وأبو داود ـ واللفظ له ـ، والترمذي، والدارمي[١].

وأعطاها حقوقها التي سلبت منها: الكرامة الإنسانية، وحقوقها المالية، والاجتماعية، وغيرها من الحقوق التي جاء بها الإسلام، كما أنه قد راعىٰ تكوينها فخصها ببعض الحقوق والواجبات.

ولكن هيمنة الحضارة المعاصرة ذات البعد الغربي المادي فكرياً وثقافياً وسلوكياً، قد أدىٰ إلىٰ قيام محاولات عديدة للسعي إلىٰ تسويق قيم الحضارة المعاصرة من خلال ترويج فكرة العالمية[٢] ـ خاصة في جانبها الاجتماعي والسلوكي ـ، وقد قامت هيئة الأمم المتحدة بأنشطة في هذا المجال: وذلك بعقد الندوات والمؤتمرات العالمية واستصدار الصكوك والوثائق حيال العديد من القضايا الاجتماعية، مثل: قضايا التنمية الاجتماعية، والسكان، والمرأة، ومن ذلك:

ـ المؤتمر العالمي الأول للسكان، المنعقد في (بوخارست/ رومانيا)، عام (١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م).

ـ المؤتمر العالمي للسنة الدولية للمرأة، المنعقد في مكسيكو عام (١٣٩٥هـ ١٩٧٥م).

ـ المؤتمر العالمي الذي عقدته الأمم المتحدة للمرأة في كوبنهاجن عام (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م).

---

(١) مسند الإمام أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم (٢٤٩٩٩)، سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البلَّة في منامه، رقم (٢٠٤)، سنن الترمذي، كتاب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرىٰ بللاً ولا يذكر احتلاماً، رقم (١٠٥)، سنن الدارمي، كتاب الطهارة، باب في المرأة ترىٰ في منامها ما يرىٰ الرجل، رقم (٧٥٧).

(٢) كان ذاك في بداية الأمر وما زال، ولكن ظهر مؤخراً مصطلح بديل، يوسم (بالعولمة) الذي اشتهر علىٰ الألسن بشكل سريع جداً.

ـ المؤتمر الدولي المعني بالسكان، المنعقد في مكسيكو عام (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

ـ دورة اللجنة المعنية بالقضاء على التمييز ضد المرأة، المنعقدة في نيويورك عام (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

ـ المؤتمر العالمي لاستعراض (عقد الأمم المتحدة للمرأة) وتقييمه. المنعقد بنيروبي عام (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

ـ مؤتمر الأمم المتحدة عن البيئة والتنمية، المنعقد في ريودي جانيرو عام (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

ـ مؤتمر الأمم المتحدة عن حقوق الإنسان، المنعقد في فيينا عام (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

ـ المؤتمر الأمم الدولي عن السكان والتنمية، المنعقد بالقاهرة عام (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

ـ مؤتمر الأمم المتحدة عن التنمية الاجتماعية، المنعقد في كوبنهاجن عام (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

ـ المؤتمر الدولي الرابع المعني بالمرأة، المنعقد في بكين عام (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

ـ مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية (الموئل الثاني)، المنعقد في إسطنبول/ تركيا)، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

ـ مؤتمر الأمم المتحدة للمرأة عام ٢٠٠٠م المساواة والتنمية والسلام، الذي انعقد في نيويورك، وقد عرف باسم (بكين+٥).

هذا، بالإضافة إلى صدور عدد من الصكوك والمواثيق الدولية ذات الصلة بالمسألة الاجتماعية، مثل:

- ميثاق الأمم المتحدة، الصادر بتاريخ ١٣٦٤هـ- ١٩٤٥م.

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الصادر بتاريخ ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م.

- الاتفاقية الخاصة بالحقوق السياسية للمرأة، عام ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م.

- العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، عام ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م.

- العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية، عام ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

- الإعلان الخاص بالقضاء على التمييز ضد المرأة، عام ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

- إعلان طهران عام ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

- اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، عام ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

- إستراتيجيات نيروبي التطلعية للنهوض بالمرأة، عام ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

وكان من أهم القضايا المطروحة في المؤتمرات والمواثيق السابقة: قضية المرأة بأبعادها المختلفة، وقد ظهرت الأهمية الكبرى لهذه القضية في سياق هذه المؤتمرات من خلال المضامين التالية:

١ - أنها قضية تثار في كل المؤتمرات المذكورة سلفاً، وتكاد تكون القاسم المشترك بينها جميعاً.

٢ - أن عدداً من تلك المؤتمرات كان مخصصاً لقضية المرأة بخاصة.

٣- أن هذه المؤتمرات تقوم على فكرة مخالفة- من حيث الأصل- للإسلام حيال طبيعة المرأة، ووظيفتها في الحياة.

٤ - أن طرح هذه الفكرة قد يساعد على ترويج أفكار هذه المؤتمرات ومخادعة المجتمعات الإسلامية بها من خلال آليات دولية كثيرة: اجتماعية، وإعلامية،

وسياسية، واقتصادية، ونحو ذلك.

٥ ـ بروز دور بعض الجمعيات النسائية العربية في مؤتمرات المرأة وفي متابعة تنفيذ قراراته، كما حصل في مؤتمر واشنطن في شهر إبريل من العام الميلادي ١٩٩٦م، للمرأة العربية بشأن متابعة تنفيذ توصيات مؤتمر بكين.

٦ ـ أنه في ظل ظاهرة الوعي بدأت تبرز مواقف إسلامية ناقدة لهذه المؤتمرات، وذلك من عدد من الهيئات والمؤسسات الإسلامية الرسمية وغير الرسمية، مثل: هيئة كبار العلماء، ورابطة العالم الإسلامي في المملكة العربية السعودية وغيرها، بالإضافة إلى مواقف محمودة لعدد من العلماء والدعاة في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

وقد رأيت أن أقوم بدراسة تقويمية لهذه الطروحات تجاه المرأة، وأهم الخطط المقترحة فيها، كما رأيت المبادرة بتقديم نقد إسلامي لهذه الطروحات في هذا الوقت للأسباب الآتية:

أولاً: أنه لم يسبق أن قدمت دراسات إسلامية ناقدة ووافية تجاه هذا النوع من المؤتمرات ـ حسب علمي ـ.

ثانياً: إنَّ دراسة هذه القضايا في المؤتمرات السابقة ونقدها ـ من وجهة النظر الإسلامية ـ ستكون أيضاً دراسة ونقداً لكثير من المؤتمرات اللاحقة؛ للاتفاق بينها في المضمون والاستراتيجيات ـ كما هو متوقع ـ.

ثالثاً: أرجو أن يكون في هذا البحث تحفيزاً للباحثين للمبادرة في تقويم دراسات ورؤى إسلامية تجاه ما يستجد من طروحات عالمية ـ في المسألة الاجتماعية خصوصاً ـ مخالفة للدين الإسلامي.

رابعاً: إنَّ قضية المرأة والأسرة من أهم قضايا الخلاف الحضاري بين الإسلام والحضارات الأخرى، ولا يخفى على المتابعين أن حمى التغيير التي تجتاح العالم

الإسلامي تحت شعار الإصلاح الذي رفعه الغرب في الآونة الأخيرة، جعلت من التغيير الاجتماعي في مجالي المرأة والأسرة طريقاً لتغريب المجتمعات ومسخ هويتها وثقافتها، وإسقاطها في مستنقعات التبعية، وحمأة الرذيلة.

وأصل هذا الكتاب اختصار لدراسة علمية موسعة تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه من قسم الثقافة الإسلامية في كلية الشريعة ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض. وقد استقر الرأي على اختصارها وتهذيبها لتناسب القراء عامة، ومن أراد المزيد من التفصيل فليرجع إلى أصل الرسالة التي تزيد صفحتها عن ١٣٠٠ صفحة؛ ولأجل ذلك فلم أفصل في هذا الكتاب الردود الشرعية على التوصيات والإجراءات التنفيذية المخالفة للإسلام، التي نادت بها هذه المؤتمرات. فالحديث عن هذه الإجراءات والرد عليها قد تجاوز في أصل الرسالة (٥٥٠) صفحة، فليلحظ هذا الأمر.

كما خلا هذا الكتاب من ملاحق استغرقت (٢٢٠) صفحة.